مقارنة بين منهج البزدوي والسرخسي في أصوليهما

د٠ عبد الله بن سليمان بن عامر المشرفيّ السيد(*)

المقدمة :

حفلت الدراسات الأصولية باهتمام كبير لدى رجال المذهب الحنفي وخاصة في العصور الأولى للتدوين والتنظير في هذا الفرع البالغ الأهمية في الدراسات الشرعية الإسلامية، ولهذا كان من المهم التعرف على أبرز الكتابات الموجودة في هذا الفن لدى أكابر مختصيها في المذهب.

مشكلة الدراسة:

تتحدد مشكلة هذه الدراسة في البحث عن أوجه الاختلاف والاتفاق بين اثنين من أقطاب المذهب الحنفي في أصوليهما، وذلك من خلال المقارنة بينهما في ذلك.

فرضيات الدراسة:

ومن ثم تفترض الدراسة أنه لابد أن يكون هناك اختلاف بين المنهجين المذكورين والمعنيين بالمقارنة، وكذلك لابد أن يكون هناك بعض نقاط الاتفاق، وهو ما تسعى هذه الدراسة للبحث عنه وكشفه وتجليته.

أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى عدة أهداف منها ما يلي:

بيان أهمية كل من العالمين المذكورين في الفكر الأصولي عامة وفي المذهب الحنفي بخاصة.

بيان أوجه الاختلاف والاتفاق بين منهجيهما في أصوليهما.

(*) أستاذ مشارك بقسم القانون كلية العلوم والدراسات النظرية– الجامعة السعودية الإلكترونية.

الإفادة من المنهج المقارن في تجلية موقع كل منهما من الآخر من ناحية، وتجلية موقع كل واحد منهما من المذهب الحنفي بصفة عامة.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية هذه الدراسة من كونها تبحث في منهج اثنين من كبار علماء الأصول بصافة عامة والمذهب الحنفي بصافة خاصة، فهما جديران بالبحث في آثارهما والتنقيب عن ملامح فكر كليهما وبيان أوجه الاختلاف وأوجه الاتفاق التي تقع بينهما.

منهجية الدراسة:

اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، ومن ثم انبنت الدراسة على تمهيد وثلاثة مباحث بيانها ما يلي:

أما التمهيد فكان عن التعريف بالشيخين وبكتابيهما، وأما المبحث الأول فكان عن بيان أي المؤلفين أهم من الآخر في الدراسات الأصولية، وأما المبحث الثاني؛ فكان عن بيان أي من المؤلفين يمكن أن يغني عن الآخر، وأما المبحث الثالث؛ فكان لبيان أي منهما استفاد من الآخر وأخذ عنه، ثم ختم البحث بقائمة المصادر والمراجع التي أفاد منها ورجع إليها.

التمهيد

في التعريف بالشيخين وكتابيهما

أولا: الإمام البزدوي[1]:

أ- ترجمته:

اسمه ولقبه ونسبه:

علي بن محمد بن الحسين البزدوي الحنفي، فخر الدين أبو القاسم، من سكان سمرقند، نسبته إلى "بزدة" قلعة بقرب نسف[2].

شيوخه وتلامذته:

أخذ عن: عبد العزيز بن أحمد، شمس الأئمة أبو أحمد الحلوائي، مفتي بخاري وعالمها، تفقه عليه، وسمع منه فخر الإسلام علي، وصدر الإسلام أبو اليسر محمد ابنا محمد بن الحسين البزدوي.

---

(١) ينظر في ترجمة البزدوي: التحصيل من المحصول، سراج الدين محمود بن أبي بكر الأرْمَوي (المتوفى: ٦٨٢ هـ) تحقيق: الدكتور عبد الحميد علي أبو زنيد، أصل الكتاب: رسالة دكتوراه، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ (١١٩/١) تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى، ٢٠٠٣ م (٧١/١٠) سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، ١٤٠٥هـ (٦٠٢/١٨) الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م (٦٢٨/٤) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، عبد العزيز بن أحمد ابن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: ٧٣٠هـ) دار الكتاب الإسلامي (٣/١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية، أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، عني بتصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، طبع بمطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر – لصاحبها محمد إسماعيل،: الأولى، ١٣٢٤هـ (ص: ١٢٤).

(٢) معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) دار صادر، بيروت – الطبعة: الثانية، ١٩٩٥م (٦٠٩/١).

وعنه أخذ: محمد بن نصر بن منصور بن علي بن محمد بن محمد بن الفضل أبو المعالي العامري الخطيب بسمرقند تفقه على فخر الإسلام، وكان إمامًا.

وعلاء الدين عبد العزيز البُخاري صاحب (الكشف) الإمام المتبحّر في الفقه والأصول.

ثناء العلماء عليه:

كان عارفًا بالفقه والأصول والخلاف والجدل، قال الذهبي: "شيخ الحنفية، عالم ما وراء النهر، أبو الحسن علي بن محمد بن الحسين بن عبد الكريم البزدوي، صاحب الطريقة في المذهب"(١).

وله التصانيف الجليلة، ووصفه الإمام عبد العزيز البخاري في مقدمة كتابه كشف الأسرار شرح أصول البزودي بالشيخ الإمام المعظم والحبر الهمام المكرم العالم العامل البرباني، مؤيد المذهب النعماني قدرة المحققين أسوة المدققين صاحب المقامات العلية والكرامات السنية، مفجر الأنام فخر الإسلام أبي الحسن علي بن محمد بن الحسين البزودي، وصدر الشريعة في مقدمة كتابه تنقيح الأصول بالشيخ الإمام مقتدى الأئمة العظام.

قال عنه اللكنوي: "علي بن محمد بن عبد الكريم بن موسى البزدوي، الإمام الكبير الجامع بين أشتات العلوم، إمام الدنيا في الفروع والأصول له تصانيف كثيرة معتبرة، منها المبسوط أحد عشر مجلدًا، وشرح الجامع الكبير وشرح الجامع الصغير وكتاب كبير في أصول الفقه مشهور بأصول البزدوي معتبر معتمد وكتاب في تفسير القرآن يقال: إنه مائة وعشرون جزءًا كل جزء في ضخم مصحف وغناء الفقهاء في الفقه"(٢).

---

(١) سير أعلام النبلاء، الذهبي (٦٠٢/١٨).

(٢) الفوائد البهية في تراجم الحنفية، أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي (ص: ١٢٤).

وقال حسام الدين السِّغْنَاقي في مقدمة الكافي: "وها أنا قد تصديت لشرح هذا الكتاب، وفسر ما يؤتيه بفصل الخطاب بتوفيق الله الملك الوهاب، وهو الكتاب المنسوب إلى الإمام الزاهد المحقق والحبر المدقق ذي البركات الباهرة والكرامات الظاهرة فخر الإسلام أبي الحسن علي بن محمد بن الحسين البزدوي"(١).

وفاته:

مات بكس(٢) في رجب، سنة اثنتين وثمانين وأربعمائة.

ب- عن الكتاب:

هو كتاب: كنز الوصول إلى معرفة الأصول، أو أصول البزدوي، وهو من أصول الكتب في أصول الفقه بعامة وأصول الفقه الحنفي بخاصة.

ويتوفر من طبعاته: مطبعة جاويد بريس - كراتشي.

ويقع الكتاب في جزء واحد غلب عليه التقسيم والعناوين الكثيرة، وهو متميز في عرض المسائل بهذه الدقة والتنظير: "وقد واكب السرخسي في تأليفه لكتابه أصول الفقه، عالما آخر هو فخر الإسلام علي بن محمد البزدوي ت ٤٨٢هـ، في كتابه: كنز الوصول إلى معرفة الأصول، فكان كتابا السرخسي والبزدوي بمثابة تهذيب لهذا الفن وتنقيح له، فصار مُعَوّل الفقهاء بعدهما حتى إذا اتفقا على شيء يقولون: اتفق الشيخان على هذا القول"(٣).

واشتهر الكتاب بشهرة صاحبه وسبقه في التقعيد لهذا العلم والتفصيل فيه، وهو من معتمدي أصول الفقه مع صاحبه أصول السرخسي في الفقه الحنفي، وهو ذو عبارة سهلة أيضا، وليس في شرحه تعقيد.

---

(١) الكافي شرح البزودي، الحسين بن علي بن حجاج بن علي، حسام الدين السِّغْنَاقي (المتوفى: ٧١١ هـ) تحقيق: فخر الدين سيد محمد قانت (رسالة دكتوراه) مكتبة الرشد للنشر والتوزيع - الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١م (١٣٨/١).

(٢) بكسر الكاف، والسين مهملة: محلة كبيرة بسمرقند. معجم البلدان للحموي (٣٠٨/١).

(٣) المكتبة الإسلامية، عماد علي جمعة - سلسلة التراث العربي الإسلامي - الطبعة: الثانية ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م (ص: ١٩٩).

ثانيا: السرخسي:

أ- **ترجمته.**[1]

اسمه ولقبه ونسبه:

محمد بن أحمد بن أبي سهل أبو بكر السرخسي، الإمام الكبير شمس الأئمة والسرخسي نسبة إلى مدينة سرخس من بلاد خراسان.[2]

سعة علمه:

ترجم له العلامة قاسم بن قطلوبغا في تاج التراجم ونقل من المسالك بعض ما سبق نقله، وذكر كلمة المقريزي ثم قال: ورأيت له كتابًا في أصول الفقه جزءين ضخمين وهو هذا الكتاب، وشرح السير الكبير في جزءين ضخمين أملاهما، وهو في الجب فلما وصل إلى باب الشروط حصل الفرج فأطلق فخرج في آخر عمره إلى فرغانة فأنزله حسن بمنزله فوصل إليه الطلبة، فأكمل الإملاء في دهليز الأمير.

فماذا يطلب من شاهد على سعة وتوقد ذكائه أصدق من إملائه (المبسوط) ذلك الكتاب الضخم المطبوع في ثلاثين جزءا من الجبّ عن ظهر القلب كما

---

(١) ينظر في ترجمة السرخسي: تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله الذهبي (٧١/١٠، ٨٢٨) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: ٧٧٥هـ) مير محمد كتب خانه – كراتشي (٢٨/٢) الفوائد البهية في تراجم الحنفية، أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي (١٥٨) تاج التراجم، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني) الجمالي الحنفي (المتوفى: ٨٧٩هـ) تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم – دمشق، ط: الأولى، ١٤١٣هـ (٢٠٩، ٢٣٥).

(٢) بفتح أوّله، وسكون ثانيه، وفتح الخاء المعجمة، مدينة قديمة من نواحي خراسان. معجم البلدان للحموي (٢٠٨/٣).

أطبقت على ذلك كلمات المترجمين؛ لهذا الإمام العظيم الذى هو من مفاخر السلف علمًا وورعًا.

شيوخه وتلامذته:

أخذ عن عبد العزيز بن أحمد، شمس الأئمة أبو أحمد الحلْوائي، مفتي بُخَارى وعالمها، سمع منه أئِمّة أهمهم السَّرْخَسيّ، وعلي بن الحسين بن محمد السُّغْدي شيخ الإسلام، أبو الحسن، وكان إمامًا فاضلًا، وفقيهًا مناظرًا، وسمع الحديث، وروى عنه شمس الأئمة السرخسي "السير الكبير".

وعنه أخذ محمد بن إبراهيم بن أنوش، العلامة أبو بكر بن أبي إسحاق البخاري الحصري الحافظ أحد كبار الحنفية، تفقّه عليه: بكر بن محمد بن علي ابن الفضل بن الحسن بن أحمد بن إبراهيم، العلامة أبو الفضل الأنصاري الجابري، من ولد جابر بن عبد الله، البخاري الزرنجري، كان فقيه تلك الديار، ومفتي ما وراء النهر، وكان يضرب به المثل في حفظ مذهب أبي حنيفة.

ومحمود بن مسعود بن عبد الحميد، أبو بكر الشعيبي اليوزجندي، كان إمامًا، فاضلًا، مفتيا، متفننًا، مناظرًا، مبرزًا.

ثناء العلماء عليه:

قال محيي الدين الحنفي: "أحد الفحول الأئمة الكبار أصحاب الفنون، كان إمامًا علامة حجة متكلما فقيها أصوليًّا مناظرا، لزم الإمام شمس الأئمة أبا محمد عبد العزيز الحلواني حتى تخرج به وصار أنظر أهل زمانه، وأخذ في التصنيف وناظر الأقران فظهر اسمه وشاع خبره أملأ المبسوط نحو خسمة عشر مجلدًا، وهو في السجن بأوزجند محبوس، وعن أسباب الخلاص في الدنيا مأيوس بسبب كلمة كان فيها من الناصحين سالكا فيها طريق الراسخين؛ ليكون له ذخيرة إلى يوم الدين، وإنما يتقبل الله من المتقين، وهو يتولى الصالحين"[1].

---

(١) الجواهر المضية في طبقات الحنفية، محيي الدين الحنفي (٢٨/٢).

وقال اللكنوي: "كان إمامًا علامة حجة متكلمًا مناظراً أصوليًّا مجتهدًا، عده ابن كمال باشا من المجتهدين في المسائل، لازم شمس الأئمة عبد العزيز الحلواني، وأخذ عنه حتى تخرج به وصار أوحد زمانه"[١].

وفاته:

توفي سنة: ٤٩٠ هـ تقريبا في أوزجند بفرغانة[٢] رحمه الله تعالى.[٣]

ب- عن الكتاب:

كتاب أصول السرخسي من أشهر وأجل كتب الأصول بعامة وأصول الفقه الحنفي بخاصة، وقد طبع عدة طبعات أشهرها طبعة، تحقيق أبو الوفا الأفغاني، دار المعرفة، بيروت – لبنان في جزءين.

وهو من كتب الأصول المصنفة على طريقة الحنفية، وهو من الكتب ذات العبارة السهلة، ويعد مثل كتاب البزدوي، ويتميز الكتاب بالإسهاب في الشرح وتفريع المسائل.

وقد أوضح السرخسي سبب تأليفه له فقال: "يقول السرخسي في مقدمة كتابه عن سبب تأليفه له: إنه بعد شرح كتب محمد بن الحسن الشيباني ت ١٨٩هـ، رأيت من الصواب أن أبين للمقتبسين أصول ما بنيت عليها شرح الكتب، ليكون الوقوف على الأصول معينا لهم على ما هو الحقيقة في الفروع، ومرشدا لهم إلى ما وقع الإخلال به في بيان الفروع، فالأصول معدودة والحوادث ممدودة، والمجموعات في هذا الباب كثيرة للمتقدمين والمتأخرين"[٤].

---

(١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية، اللكنوي (ص: ١٥٨).

(٢) بالفتح ثم السكون، مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان. معجم البلدان للحموي (٤/٢٣٥).

(٣) الجواهر المضية في طبقات الحنفية (٣/٢٩).

(٤) الفوائد البهية في تراجم الحنفية، اللكنوي (ص: ١٥٨).

مقارنة بين منهج البزدوي والسرخسي في أصليهما:

قرر الإمامان البزدوي والسرخسي المباحث الأصولية ومسائلها كافة في مذهب الأحناف، وبعد تحقيق مسائل المذهب كان قولهما المعتمد متى اتفقا على ذلك، ولم يخرج المتأخرون عن قولهما إذا اختلفا، ويمكن أن نقرر أن الفكر الأصولي اكتمل بناؤه في عهدهما، وبعدهما انتشرت المتون الأصولية، واعتمد الراجح من الأقوال، بعد أن وضحت المعالم، فاستقر الفكر الأصولي الحنفي، ولم يطرأ تغيير بعد يُذكر على أصول ذلك المذهب، ولأجل أن تتضح وجوه المقارنة بين الشرحين والأصلين لابد من تحديدها في عدة نقاط رئيسة وأخرى فرعية، وهي كما يلي.

**

المبحث الأول

أي المؤلفين أهم من الآخر في الدراسات الأصولية

لكل من المؤلفين أصل البزدوي وأصل السرخسي أهمية لا تخفى في الدراسات الأصولية، ويعدان من أفضل المصنَّفات التي أُلفت على طريقة الحنفية من المتأخرين.

أولا: أصول البزدوي:

وكتاب البزدوي مع وجازة عباراته قد استوعب آراء المتقدمين عليه في المذهب؛ ولهذا فإن هذا الكتاب – كنز الوصول – يعتبر إضافة للمكتبة الأصولية، وتظهر قيمته وتزداد وضوحا حينما نقف على ما قاله فيه أهل الفضل من العلماء المحققين.[1]

كما أنه من أشهر كتب الحنفية، وعليه اعتمادهم، وقد كثرت عليه الشروح، وأجلها: كشف الأسرار عن أصول البزدوي للشيخ علاء الدين عبد العزيز البخاري، وقد بيّن الإمام علاء الدين البخاري[2] أن البزدوي ضمّن كتابه أصول الشرع وأحكامه فهو عجيب الصنعة صحيح الأسلوب.

قال رحمه الله: "إن كتاب أصول الفقه المنسوب إلى فخر الإسلام البزدوي امتاز من بين الكتب المصنَّفة في هذا الفن شرفاً وسُموًّا، وحلَّ مقام الثُّريا مجدًا،

---

(١) ينظر. تحقيق جزء من كتاب الشامل لأمير كاتب بن أمير عمر الفارابي الإتقاني ت ٧٥٨ هـ، من أول باب حكم الأمر والنهي إلى آخر باب بيان أسباب الشرائع مع التطبيق على: سورة الحجرات، خيرت يوسف نور الدين، والكتاب رسالة تخصص ماجستير في أصول الفقه، المعيد في كلية الدراسات والعربية بدمياط، قسم الشريعة الإسلامية جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية– بنين بالقاهرة (ص: ٧).

(٢) علاء الدين البخاري: هو عبد العزيز بن أحمد بن محمد، عَلَاء الدِّين البُخَاري: فقيه حنفي من علماء الأصول. من أهل بخارى. له تصانيف، منها " شرح أصول البزدوي"، توفي: ٧٣٠ هـ. ينظر. الأعلام للزركلي (١٤/٤).

ضمن فيه أصول الشرع وأحكامه، **وأدرج** فيه ما به نظام الفقه وقوامه، وهو كتاب عجيب الصنعة رائع الترتيب، صحيح الأسلوب"[1].

وزاد صاحب كشف الظنون هذا البيان تأكيدا فقال: "هو – يعنى أصول البزدوي – كتاب عظيم الشأن، جليل البرهان، محتو على لطائف الاعتبارات، بأوجز العبارات، تأبى على الطلبة مرامه، واستعصى على العلماء زمامه، قد انغلقت ألفاظه، وخفيت رموزه وألحاظه، فقام جمع من الفحول بأعباء توضيحه، وكشف خباياته وتلميحه"[2].

وبناء على ما سلكه الإمام في تصنيف كتابه، فقد عكف الشراح على توضيح ما انغلق من ألفاظه، وبيان ما خفي من رموزه وعباراته، ولعل هذا الاهتمام من العلماء في شرح الكتاب يعكس أهميته التي لا تخفى ولا تعمى على أحد، وشهرة الكتاب شيء آخر ينضم إلى هذا فيجلى أنه من الأهمية في مكان كبير.

ثانيا: أصول السرخسي:

من أهم كتب الأصول، وتنتهي إليه اجتهادات العلماء، فقد أورد الكثير من المسائل الفقهية الموضحة للمسائل والقواعد الأصولية، وهو من أهم الكتب المتقدمة في أصول الفقه؛ نظرًا لسعة علم مؤلفه ومكانته بين أهل العلم، فإذا أطلق الشيخ في أصول الفقه ذهب الظن إلى السرخسي.

وهناك من عدّه أهم الكتب في المذهب الحنفي لسعته وغزارته في المذهب؛ قال صاحب شرح الورقات: "أهم كتاب في الأصول هو كتاب (الرسالة) للإمام

---

(١) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: ٧٣٠هـ) دار الكتاب الإسلامي (٣/١).

(٢) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ) مكتبة المثنى – بغداد ١٩٤١م (٨١/١).

الشافعي رحمه الله تعالى: وأهم الكتب على المذاهب: من كتب الحنفية: كتاب أصول السرخسي، كتاب تقويم الأدلة للدبوسي، أصول الكرخي"[1].

والكتاب أوسع في عدد صفحاته وأجزائه من كتاب البزدوي وفيه يتعرض لمسائل فقهية كثيرة وتشتبه بمسائله التي ألفها في المبسوط، ويمتاز بكثرة المسائل.

وأما المقارنة في الأهمية فقد يلاحظ أن كتاب السرخسي ومنهجه أهم؛ وذلك باعتبار كثرة الشروح وكثرة النقل عنه، وأن اسم الكتاب مسموع أكثر في الأوساط العلمية، وقد زاد ذلك شهرة كون صاحبه هو مؤلف المبسوط.

ومعلوم أن طريقة الكتابين واحدة وهي الطريقة التتبعية لمسائل الفقه الإسلامي، إلا أن السرخسي كان في هذه أجود بكونه يسرد المسائل ويفصل فيها ويضرب الأمثلة من هذه الفروع على القاعدة الأصولية موضوع الشرح.

وسؤال يطرح نفسه: هل هناك جوانب تميُّز لكل مؤلف بحيث يكون هذا المؤلف صالحًا لفئة من طلاب علم أصول الفقه والكتاب الآخر يصلح للفئة الأخرى؟

لكل من الأصلين معالم تميزه وحدود تبرزه؛ إذ كان لكل من الرجلين أسلوبه وطريقته، والتي جعلت من الأصلين كتابين مختلفين، رغم وحدة الموضوع واتحاد المذهب، ويمكن إجمال ذلك فيما يأتي:

أصول البزدوي يتميز بالآتي:

الاختصار:

وهذا ما نصّ عليه البزدوي نفسه، مشيرًا إلى المنهج الذي نهجه في كتابه فقال: "وهذا الكتاب لبيان النصوص بمعانيها وتعريف الأصول بفروعها على شرط

(١) شرح الورقات في أصول الفقه، خالد بن إبراهيم الصقعبي (٨/١).

الإيجاز والاختصار إن شاء الله تعالى، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب حسبنا الله ونعم الوكيل"[١].

وهذا الاختصار جعل كتابه صغير الحجم يقع في جزء واحد، غير أنه كثير العلم على قلة كلامه قياسا بغيره من الكتب التي في زمانه من نوعه.

حسن التقسيم:

فهو كتاب عجيب الصنعة رائع الترتيب، صحيح الأسلوب مليح التركيب، ليس في جودة تركيبه وحسن ترتيبه مرية [٢].

وإن مثّلنا لذلك: قال في (أحكام الشرع): "وإنما يعرف أحكام الشرع بمعرفة أقسام النظم والمعنى، وذلك أربعة أقسام فيما يرجع إلى معرفة أحكام القسم الأول في وجوه النظم صيغة ولغة، والثاني في وجوه البيان بذلك النظم، والثالث في وجوه استعمال ذلك النظم وجريانه في باب البيان، والرابع في معرفة وجوه الوقوف على المراد والمعاني على حسب الوسع والإمكان وإصابة التوفيق، أما القسم الأول فأربعة أوجه: الخاص والعام والمشترك والمؤول، والقسم الثاني أربعة أوجه أيضا: الظاهر والنص والمفسر والمحكم، وإنما يتحقق معرفة هذه الأقسام بأربعة أخرى في مقابلتها، وهي أما الضرب الأول من القسم الثاني"[٣].

هكذا في حسن تقسيم وجمال ترتيب، وهذه الأشياء تتميز بها التآليف وتنبغ في موضوعها بها؛ لأن حسن التقسيم وجمال الترتيب يجعلان الإفادة منه جيدة وتؤتي ثمارها المرجوة منها.

قوة السبك وإحكام الصياغة:

فكان عسير الفهم إلا على فئة ربما أراده المؤلف حال وضعه لأصله، حيث يقول علاء الدين البخاري وقد بيّن أن مؤلفه قد أدرج فيه ما به نظام الفقه وقوامه:

---

(١) أصول البزدوي (ص: ٥).
(٢) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، علاء الدين البخاري (٣/١).
(٣) أصل البزدوي (ص: ٥-٦).

"وليس وراء عبادان قرية[١] لكنه صعب المرام، أبي الزمام، لا سبيل إلى الوصول إلى معرفة لطفه وغرائبه"[٢]

ثم يخص بالذكر الفئة التي لا سبيل لإدراك مراميه إلا لهم، بل يؤكد علاء الدين البخاري، أنها هي العلة من وراء تأليفه هذا الكشف: "قد سألني إخواني في الدين، وأعواني على طلب اليقين، أن أكتب لهم شرحا يكشف عن أوجه غوامض معانيه نقابها، ويرفع عن اللطائف المستترة في مبانيه حجابها، ويوضح ما أبهم من رموزه وإشاراته المعضلة، ويبين ما أجمل من ألفاظه وعباراته المشكلة"[٣].

هي من الميزات المهمة لرصانة الكلمة وقوة المعلومة، وهي تعبر عن متانة المؤلف في إدراك سبل التعبير ومسالك العبارة، ولا شك في تميز النظم والتأليف بها وتميزه عمن فقد هذا.

لا يقتصر على أئمة المذهب:

اقتصر البزدوي على مشايخ مذهبه، وهذا أمر مقرر لدى كل من تصدى للكتاب بالدراسة، تتضح به نصوص الكتاب، وذلك كقوله: "وقال عامة مشايخنا لا يوجبه ولا يحتمله"[٤].

"والذي عليه عامة مشايخنا أن الأمر المطلق لا يوجب الفور، فقد زعم بعضهم أنه حقيقة، وقال الكرخي والجصاص بل هو مجاز"[٥].

---

(١) مثل عربي يضرب للتعبير عن أن هذا آخر ما يرجى. انظر. التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (المتوفى: ٦٥٠ هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين منهم: عبد العليم الطحاوي، عبد الحميد حسن وغيرهم – مطبعة دار الكتب، القاهرة (٢٧٩/٢).

(٢) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، علاء الدين البخاري (٣/١).

(٣) السابق نفسه.

(٤) أصول البزدوي (ص: ٢٢).

(٥) السابق (ص: ٤٨).

ثم هو يقارن أحيانًا بين أئمة المذهب وبين الشافعي وأصحابه، دون غيره من المذاهب، فجاء ذكر الشافعي ما يقرب من خمس وتسعين مرة منها:

ووجه قول الشافعي هو ما ذكرنا"[1] "ولهذا قلنا نحن خلافا للشافعي أن القصاص"[2].

إلا أنه نادرًا ما يشير للإمام مالك ولمذهبه، بل إن عامل البحث لم يظهر إشارته له إلا في أربعة مواطن منها:

"أما في المسألة الأولى فقد قال مالك بن أنس أنه تقع الثلث، وجعلها للقران لكنه غلط لما قدمنا"[3].

"وقال مالك رحمه الله الباء صلة؛ لأن المسح فعل متعد فيؤكد بالباء"[4].

"وحكى أصحاب مالك بن أنس عنه انه كان يقبل المراسيل ويعمل بها"[5].

كذلك الإشارة لأهل الحديث، ويعني بهم الأئمة من المذهب الحنبلي، لم تتجاوز خمسة مواطن منها:

"وقال بعض أهل الحديث يوجب علم اليقين لما ذكرنا أنه أوجب العمل ولا عمل من غير علم"[6].

"قال عامة أهل الحديث أن القسم الأول على المنزلتين ألا ترى أنها طريقة الرسول عليه السلام وهو المطلق من الحديث المشافهة"[7].

---

(١) أصول البزدوي (ص: ٢٣).

(٢) السابق (ص: ٣٢).

(٣) السابق (ص: ٩٢).

(٤) السابق (ص: ١٠٨).

(٥) السابق (ص: ١٧١).

(٦) السابق (ص: ١٥٤).

(٧) السابق (ص: ١٨٣).

وهذا وإن كان غير متوسع إلا أنه نوع في الاستشهاد والتدليل على رأيه في المسائل.

قلة الاستشهادات:

هذا أمر واضح بيّن، سواء بالآيات أو الأحاديث، على غير النحو الذي نجده عند السرخسي، وكثيرا ما يقيس الأمور قياسا عقليا أو تحليلا.

أصول السرخسي، وهو يتميز بالآتي:

التحليل الدقيق:

لأخذ الأصول من الفروع اتبع السرخسي أسلوبًا علميًّا دقيقًا، في صيغة فقهية واضحة، يبين بها الأصول التي بنيت عليها الفروع، يقول:

"لما انتهى المقصود من ذلك رأيت من الصواب أن أبين للمقتسبين أصول ما بنيت عليها شرح الكتب ليكون الوقوف على الأصول معينا لهم على فهم الحقيقة في الفروع ومرشدا لهم إلى ما وقع الإخلال به في بيان الفروع.

فالأصول معدودة والحوادث ممدودة والمجموعات في هذا الباب كثيرة للمتقدمين والمتأخرين وإنا فيما قصدته بهم من المقتدين رجاء أن أكون من الأشباه فخير الأمور الاتباع وشرها الابتداع"[١].

ظهور الشخصية:

إن ملامح شخصية السرخسي العلمية قد بدت جلية، على صفحات أصوله، وذلك من خلال تدخله الصريح في معالجة المسائل وترجيحاته، بتضعيف رأيٍ وتصحيح آخر، نرى ذلك من خلال بعض النصوص منها مثلا:

"ما ذهب إليه زفر ضعيف"[٢].

"لكنا نقول الواجب عليه أداء ما هو عبادة "[٣].

---

(١) أصل السرخسي (١٠/١).
(٢) السابق (٣٥/١)
(٣) السابق (٤٤/١)

والصحيح ما قلنا فإنه من حيث الصيغة معنى العطف يتحقق في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا﴾ [النور: ٤] ولا يتحقق في قوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ۝٤﴾ لأن قول القائل: اجلس ولا تتكلم. يكون عطفا صحيحا فكذلك قوله تعالى: ﴿فَاجْلِدُوا﴾ [النور: ٢][1].

التوسع في الاستشهاد:

نمثّل لذلك بباب الإجماع:

يقول: "ثم الدليل على أن الإجماع من هذه الأمة حجة موجبة شرعا، وأنهم إذا اجتمعوا على شيء فالحق فيما اجتمعوا عليه قطعا، وإذا اختلفوا في شيء فالحق لا يعدوهم أصلا الكتاب والسنة، أما الكتاب"[2].

ثم يستدل بالكتاب في ما يقارب الأربع صفحات.

ثم يقول: وأما السنة فقد جاءت مستفيضة مشهورة في ذلك: فمنها حديث عمر رضي الله عنه أن رسول الله (ص) قال: "من سره بحبوحة الجنة" ويأتي بنحو صفحتين بوجه السنة.[3]

التفصيل في عموم المسائل وكثرة التفريع عليها:

في الوقت الذي استغرق فيه أصل البزدوي (٣٦٣) من الصفحات جاء السرخسي في مجلدين؛ كان الأول في (٣٨١) صفحة والثاني في (٣٥٣) صفحة، وذلك بحسب أشهر الطبعات التي ذكرناها في مقدم البحث؛ وذلك لما اتسم به منهجه من التفصيل والتفريع ومناقشة الأصل، ثم يأتي بعد ذلك الترجيح.

---

(١) أصل السرخسي (٢٧٥/١).

(٢) ينظر أصل السرخسي (٢٩٦/١) وما بعدها.

(٣) السابق نفسه.

"ففي مسألة (القرائن التي يُصرف بها الكلام إلى المجاز) فقد ألحق السرخسي بفصل: (ما تُترك به الحقيقة) فصلا آخر سماه (إبانة طريق المراد بمطلق الكلام) وأورد فيه قرينتين زيادة على ما سبق عند البزدوي"(١).

وفي مسالة (تعريف السبب) يذكر له ثلاثة معان مستشهدًا بثلاث آيات من كتاب الله تعالى فيقول: السبب لغة الطريق إلى الشيء قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف: ٨٤-٨٥] أي: طريقًا، وقيل هو بمعنى الباب قال تعالى: ﴿لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [غافر: ٣٦ - ٣٧] أي: أبوابها، ومنه قول زهير:

ولو نال أسباب السماء بسلم.(٢) أي أبوابها وقيل هو بمعنى الحبل قال تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج: ١٥] الآية يعني بحبل من سقف البيت فالكل يرجع إلى معنى (واحد) وهو طريق الوصول إلى الشيء، وفي الأحكام السبب عبارة عما يكون طريقا للوصول إلى الحكم المطلوب من غير أن يكون الوصول به ولكنه طريق الوصول إليه بمنزلة طريق الوصول إلى مكة، فإن الوصول إليها يكون بمشي الماشي وفي ذلك الطريق لا بالطريق ولكن يتوصل إليها من ذلك الطريق عند قصد الوصول إليها، وكذلك الحبل فإنه طريق للوصول إلى قعر البئر أو إلى الماء الذي في البئر، ولكن لا بالحبل بل بنزول النازل أو استقاء النازح بالحبل"(٣).

---

(١) القرائِن والنَّص (دراسة في المنهج الأصولي في فقه النص، د. أيمن علي عبد الرؤوف صالح (ص: ١٩٥).

(٢) البيت من بحر الطويل، وهو لزهير بن أبي سلمى في معلقته. انظر. ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: حمدو طماس – دار المعرفة، بيروت – لبنان (٧٠/١).

(٣) أصول السرخسي (٣٠١/١).

هذا في الوقت الذي ذكر فيه البزدوي آية واحدة من كتاب الله تعالى.

أما المذاهب فيقارن بين مذهبه ومذهب الشافعية على نحو ما كان عند البزدوي، لكن مع الفارق، ففي الوقت الذي يذكر البزدوي للشافعي خمسة وتسعين موطنًا، فقد جاء ذكر الشافعي على نحو يقارب المائة وخمسين موطنًا، ويذكر المالكية بنحو ما كان عند البزدوي، فقد جاء كلاهما مقلًّا ، فجاء على ذكرهم في نحو سبعة مواطن منها:

"وقال مالك في التنجيز أيضا تطلق ثلاثا؛ لأن الواو توجب المقارنة"(١).

"وعلى هذا قال مالك رحمه الله في حد قطاع الطريق"(٢).

"قال مالك رحمه الله السنة ببلدنا كذا فإنما أراد سنة سليمان بن بلال"(٣).

كذا كان مع ذكر أهل الحديث، فجاءوا في مواطن منها:

"وقال بعض أهل الحديث يثبت بخبر الواحد علم اليقين منهم من اعتبر فيه عدد الشهادة ليكون حجة ومنهم من اعتبر أقصى عدد الشهادة وهو الأربعة"(٤).

"قال بعض أهل الحديث مراعاة اللفظ في الرواية واجب على وجه لا يجوز النقل بالمعنى من غير مراعاة اللفظ بحال، وذلك منقول عن ابن سيرين"(٥).

"وأهل الحديث يقولون الوجه الأول أحق؛ لأنه طريق رسول الله عليه السلام"(٦).

ويدل على اهتمامه بمذهب الحنبلي والشافعي فهما أكثر المذاهب تمسكا بالحديث في التدليل على المسائل موضع الخلاف.

---

(١) أصول السرخسي (٢٠٣/١).

(٢) السابق (٢١٥/١).

(٣) السابق (١/ ٣٨٠).

(٤) السابق (٣٢١/١).

(٥) السابق (٣٥٥/١).

(٦) السابق (٣٧٥/١).

الاقتصاد في أئمة المذهب:

قد فصل السرخسي في مسائل أصوله، لكنه على تفصيله ذاك قد استمد أصوله من عدد محدود من متقدمي المذهب، **وقد** جاء في تطور الفكر الأصولي: "الرسالة للشافعي، الأصول للجصاص، تقويم الأدلة للدبوسي، وقد استمد السرخسي معظم كتابه من تقويم الأدلة رغم أنه لا يذكر اسم الدبوسي مطلقًا ولا اسم كتابه، ولكن يشير إليه عندما يذكر قول بعض المتأخرين، ويعني به الدبوسي" (٥٢).

ولو أردت أن تقارن لوجدت جانبا متميزا في هذا الكتاب ويقابله جانب تميز في الجانب الآخر، وتكون المفاضلة إذن باعتبارات ليست عامة ولكن خاصة في الجوانب التعليمية والإفادة العلمية التي تخدم التحصيل العلمي والتقنين الفني لهذا التحصيل، وها هو المرجح في الغالب الأعم في تلك المقارنات العلمية بين الكتب المؤلفة في الجانب الشرعي، والله أعلم.

**

المبحث الثاني

أي المؤلفين يغني عن الآخر

ينبغي أن نقرر أولًا، أن طريقة كليهما واحدة، فالتأليف في هذا العلم على طريقتين:

الطريقة الأولى: طريقة الحنفية، وتتميز بأنها تقرر القواعد الأصولية على مقتضى ما نقل من الفروع والفتاوى الصادرة عن أئمة الحنفية المتقدمين كأبي حنيفة، ومحمد بن الحسن، وأبي يوسف وابن أبي ليلى، وزُفر وغيرهم من رواد هذه المدرسة المتميزة والتي يستفاد من دمجها الفقه بأصوله في كتبهم، وهو ربط جيد في التعلم يمزج بين التنظير والتطبيق.

وسميت هذه الطريقة بطريقة الفقهاء، لأنها أمس بالفقه وأليق بالفروع، ومن أهم كتب هذه الطريقة: الفصول في الأصول للجصاص[1]، وتقويم الأدلة للدبوسي[2]،

---

(١) أحمد بن علي أبو بكر الرازي الإمام الكبير الشأن المعروف بالجصاص، مولده سنة خمس وثلاث مائة سكن بغداد وعنه أخذ فقهاؤها وإليه انتهت رياسة الأصحاب قال الخطيب كان إمام أصحاب أبي حنيفة في وقته وكان مشهورا بالزهد. توفي سنة سبعين وثلاث مائة عن خمس وستين سنة. ينظر: الجواهر المضية في طبقات الحنفية (١/ ٨٤).

(٢) عبد الله بن عمر بن عيسى، أبو زيد، توفي ببخارى سنة ثلاثين وأربعمائة، له تأسيس النظر في ما اختلف به الفقهاء أبو حنيفة وصاحباه ومالك الشافعيُّ، والأسرار في الأصول والفروع عند الحنفية، وتقويم الأدلة في الأصول، والأمد الأقصى. انظر ترجمته في: "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" أبو العباس ابن خلكان – تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت، ٤٨/٣. "سير أعلام النبلاء" شمس الدين الذهبي، دار الحديث– القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م، ١٩٣/١٣.

وأصول البزدوي، وأصول السرخسي، ومسائل الخلاف للصيمري[1]، وميزان الأصول للسمرقندي[2].

الطريقة الثانية: طريقة الجمهور – وهم المالكية، والشافعية، والحنابلة، والمعتزلة، وتتميز بالميل الشديد إلى الاستدلال العقلي، والبسط في الجدل والمناظرات وتجريد المسائل الأصولية عن الفروع الفقهية، ومن أهم كتب هذه الطريقة:

١ – كتب مالكية: التقريب والإرشاد للباقلاني[3]، وأحكام الفصول للباجي[4] .

(١) الحسين بن علي بن محمد بن جعفر، أبو عبد الله الصيمري: قاض فقيه، كان شيخ الحنفية ببغداد. له: مناقب الإمام أبي حنيفة ومسائل الخلاف في أصول الفرق توفي سنة: ٤٣٦ هـ. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، محيي الدين الحنفي (٢١٤/١) الفوائد البهية في تراجم الحنفية، اللكنوي (ص: ٦٧).

(٢) محمد بن أحمد بن أبي أحمد، أبو بكر علاء الدين السمرقندي: فقيه، من كبار الحنفية، اشتهر بكتابه: تحفة الفقهاء وميزان الأصول. توفي سنة: ٤٥٠ هـ. انظر. الجواهر المضية في طبقات الحنفية، محي الدين الحنفي (٦/٢) الفوائد البهية في تراجم الحنفية، اللكنوي (ص: ١٥٨).

(٣) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر، أبو بكر، انتهت إليه الرياسة في مذهب الأشاعرة، ولد في البصرة سنة ثمان وثلاثين وثلاثمائة، وسكن بغداد فتوفي فيها سنة ثلاث وأربعمائة، من كتبه: إعجاز القرآن، والإنصاف، ومناقب الأئمة، ودقائق الكلام، والملل والنحل، وهداية المرشدين، والاستبصار، وتمهيد الدلائل، والبيان عن الفرق بين المعجزة والكرامة، وكشف أسرار الباطنية، والتمهيد في الرد على الملحدة والمعطلة والخوارج والمعتزلة. انظر ترجمته في: "وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان" لابن خلكان (٢٦٩/٤)، "الوافي بالوفيات" صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، (١٤٧/٣).

(٤) سليمان بن خلف بن سعد التجيبي القرطبي، أبو الوليد الباجي، مولده في باجة بالأندلس سنة ثلاث وأربع مائة، وتوفي بالمرية سنة أربع وسبعين. من تصانيفه: "السراج في علم الحجاج" و"إحكام الفصول في أحكام الأصول"، و"الحدود" والإشارة" رسالة في أصول الفقه، وغيرها. انظر ترجمته في: "ترتيب المدارك وتقريب المسالك" أبو الفضل القاضي عياض=

ومنتهى السول لابن الحاجب[1] ، وشرح تنقيح الفصول، والنفائس للقرافي.[2]

٢ – كتب شافعية: الرسالة للشافعي، واللمع، وشرح اللمع، والتبصرة لأبي إسحاق الشيرازي[3] والبرهان والتلخيص.[4]

=ابن موسى اليحصبي، المحقق: الناشر: مطبعة فضالة – المحمدية، المغرب، الطبعة: الأولى، ١١٧/٨. "معجم الأدباء" ، "إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب" شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م، ١٣٨٧/٣.

(١) عثمان بن عمر بن أبي بكر بن يونس، أبو عمرو جمال الدين ابن الحاجب: فقيه مالكي، من كبار العلماء بالعربية، من تصانيفه: الكافية في النحو والشافية في الصرف. توفي سنة: ٦٤٦ هـ. انظر. وفيات الأعيان لابن خلكان (١٨١/٣) الأعلام للزركلي (٢١١/٤).

(٢) أحمد بن إدريس، شهاب الدين الصنهاجي الأصل المشهور بالقرافي. ونسب إلى القرافة من غير أن يسكنها، كان مالكيًّا إمامًا في أصول الفقه وأصول الدين، وله التنقيح وشرحه، وله أنوار البروق وأنواء الفروق، وله الذخيرة في مذهب مالك، وله الاستبصار فيما يدرك بالأبصار، توفي بدير الطين ظاهر مصر، ودفن بالقرافة سنة اثنتين وثمانين وستمائة. ينظر: المنهل الصافي و المستوفي بعد الوافي لجمال الدين بن تغرى – الهيئة العامة للكتاب. (٢٣٢/١).

(٣) هو أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف، الشيرازي، سكن بغداد، وتفقه على جماعة من الأعيان، وصار إمام وقته ببغداد، وصنف التصانيف المباركة المفيدة، منها: المهذب في المذهب، والتنبيه في الفقه، واللمع وشرحها في أصول الفقه. ولد في سنة ثلاث وتسعين وثلاثمائة بفيروز أباذ، وتوفي ليلة الأحد، الحادي والعشرين من جمادى الآخرة، ، وقيل: في جمادى الأولى، سنة ست وسبعين وأربعمائة، ببغداد. ينظر: وفيات الأعيان (٢٩/١)، وسير أعلام النبلاء (٩/١٤).

(٤) انظر. الجامع لمسائل أصول الفقه وتطبيقاتها على المذهب الراجح، عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، مكتبة الرشد – الرياض – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ (ص: ١٦).

فهذه، قد يسميها بعضهم طريقة المتكلمين، برزت فيها مباحث علم الكلام، والتركيز على التنظير مع قلة ذكر الأمثلة، وعدم الميل إلى النزعة المذهبية الفقهية.

والأولى قد تسمى طريقة الفقهاء، تتميز بأنها تربط أصول الفقه بالفقه، أي تربط العلم بثمرته فلا تعطيك قواعد عامة نظرية وتسكت عن التفريع، وإنما تذكر الفروع مصاحبة للأصول، لكن أيضا عليها مأخذ من جهة أن الذين كتبوا فيها نظروا إلى فروع الأئمة ولم ينظروا إلى الفروع المنصوص عليها في القرآن والفروع المنصوص عليها في السنة"(١).

وإن كان قد تقرر أن طريقة الأصلين واحدة، إلا أنه قد تقرر كذلك: أن أحدهما لا يغني عن الآخر، وإن كان لابد ضروريًّا القول بالاستغناء، فأصول السرخسي يغني، فالبزدوي قد احتاج أصله إلى شروح بخلاف السرخسي فكان في بابه غنيًّا، كما أن أمير كاتب الإتقاني، في استدراكاته على أصول البزدوي، قد بين إتقان السرخسي، وكم كان في كثير من أبوابه أبين وأحسن، وإليك بعض نصوصه: قال أمير كاتب في مسألة الزكاة، هل تتكرر بتكرر الحول: "وهذا تمام بيان كلام الشيخ وبيان شمس الأئمة السرخسي أحسن فقال في أصوله: وسبب وجوب صدقة الفطر على المسلم الغني"(٢).

وفي مسألة العشر والخراج: "وهذا بيان كلام الشيخ في العشر والخراج، وفي كلامه نوع خفاء قد شرحناه، وكلام شمس الأئمة السرخسي أبين وأحسن، فقال في

(١) ينظر: تهذيب شرح متن الورقات، الأستاذ الدكتور عياض السلمى، عضو هيئة التدريس بقسم أصول الفقه بكلية الشريعة بالرياض (ص: ٣).

(٢) تحقيق جزء من كتاب الشامل لأمير كاتب بن أمير عمر الفارابي، خيرت يوسف نور الدين (ص: ٨٤).

أصوله: وسبب وجوب العشر الأرض النامية باعتبار حقيقة النماء، وسبب وجوب الخراج"[١].

وفي مسألة الحدث والطهارة: "هذا الذي ذكرناه هو مقتضى كلام الشيخ، وفيه جد ثقيل؛ لأن لقائلٍ أن يقول: كلامُنا في أنَّ الحدث سبب لوجوب الطهارة لا لوجودها، والمنافاة في الوجود، لا في الوجوب، وقال شمس الأئمة السرخسي وسبب وجوب الطهارة الصلاة فإنها تضاف إليها شرعاً فيقال: تطهرْ للصلاة"[٢].

إلا أن القول بالاستغناء لا يُسلّم به في الواقع، فإن أصل البزدوي أشبه بمتن في أصول الأحناف، يعرض أصولهم في قواعد، قد بين الرجل أوجهها ليسهل تداولها بين طلبة الرسوخ في الأصول.

قال علاء الدين البخاري: "ضمن فيه أصول الشرع وأحكامه، وأدرج فيه ما به نظام الفقه وقوامه، وهو كتاب عجيب الصنعة رائع الترتيب، صحيح الأسلوب مليح"[٣].

كما أن واقع العلم يشهد بأن الكتاب لقي قبولًا واسعًا، حتى أصبح أشبه بقوانين اعتمدها أصوليو المذهب، كأنه هضم المذهب فأخرج عصارة متقدميه، ثم قدمها لخلف المذهب فعكفوا عليه.

وخلاصة القول أنه لا يغني أحدهما عن الآخر فهما متكاملان في طريق العرض وإيراد التفصيلات، وإن كان من تقدم فهو بالعموم للإمام السرخسي في

---

(١) تحقيق جزء من كتاب الشامل لأمير كاتب بن أمير عمر الفارابي، خيرت يوسف نور الدين (ص: ١٠٧).

(٢) السابق (ص: ١١٢).

(٣) كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: ٧٣٠ هـ) تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية – بيروت ط: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ (٨/١).

أصوله فقد احتوت تقريبا على ما في أصول البزدوي وزيادة عليه، وهو مشاهد لما مرّ وما سيأتي من نقاط المقارنة بين الأصلين.

ولا يعني شيئا مما يرد على الذهن بإهمال الآخر، وبكن هذا الرأي باعتبار الدرس والإفادة، وإلا فإن السرخسي – كما سيأتي – كان تابعا للبزدوي في كثير من أقواله وآرائه.

**

المبحث الثالث

من المؤلف الذي استفاد من المؤلف الآخر

انتشر في العصور الذي توافق زمن المؤلفين أن يستفيد مؤلف من آخر، وأن تكون مدرسة في التنظير ينتمي لها جمع من السادة العلماء، وكما هو العهد في مدرسة الفقهاء ومدرسة المتكلمين.

ينتمي العالمان لطبقة واحدة، وهي الطبقة الثالثة: طبقة المجتهدين في المسائل التي لا رواية فيها عن صاحب المذهب كالخصاف وأبي الحسن الكرخي، وشمس الأئمة الحلواني وشمس الأئمة السرخسي، وفخر الإسلام البزدوي، وفخر الدين قاضي خان.[١]

وبانتمائهما إلى طبقة واحدة يكون الإفادة والاستفادة بينهما واقعة في الغالب أخذا وردا؛ وهم لا يقدرون على مخالفة الإمام لا في الأصول ولا في الفروع، لكنهم يستنبطون الأحكام في المسائل التي لا نص فيها على حسب أصول قررها، ومقتضى قواعد بسطها [٢].

وقد قرر البعض كما في تطور الفكر الأصولي الحنفي "ويبدو أن كليهما لم يطلع على مصنف الآخر أو على الأقل لم يستمد منه في تصنيفه فهما متعاصران"[٣].

لكن يمكننا القول: إن الاستفادة كانت للسرخسي، فالمجمل عند البزدوي، قد فصّله السرخسي.

---

(١) انظر. التخريج عند الفقهاء والأصوليين (دراسة نظرية تطبيقية تأصيلية) يعقوب بن عبد الوهاب بن يوسف الباحسين التميمي، مكتبة الرشد، ١٤١٤هـ (٣٠١-٣٠٢).

(٢) التخريج عند الفقهاء والأصوليين (دراسة نظرية تطبيقية تأصيلية) يعقوب بن عبد الوهاب ابن يوسف (ص: ٣٠٣).

(٣) تطور الفكر الأصولي الحنفي (دراسة تاريخية تحليلية تطبيقية) هيثم عبد الحميد دار الكتب العلمية، بيروت (ص: ٥١).

كما أنه يتبين من نص ابن نجيم، اهتمام السرخسي بآراء البزدوي، حتى ألّف كتابًا مستقلا عن فخر الإسلام البزدوي.

يقول ابن نجيم المصري[1]: "لم أزل منذ زمن الطلب أعتني بكتبه قديما وحديثا، وأسعى في تحصيل ما هجر منها سعيا حثيثا، إلى أن وقفت منها على الجم الغفير، وأحطت بغالب الموجود في بلدنا (القاهرة) مطالعة وتأملا بحيث لم يفتني منها إلا النزر اليسير، ما ستراه عند سردها، مع ضم الاشتغال والمطالعة لكتب الأصول من ابتداء أمري، ككتاب البزدوي للإمام السرخسي، والتقويم لأبي زيد الدبوسي، والتنقيح وشرحه وشرح شرحه وحواشيه"[2].

إضافة إلى أنه في كثير من المواطن يكاد ينقل كلام البزدوي، ففي تعريف السبب مثلًا، يأخذ تعريف البزدوي ويزيد عليه؛ يقول البزدوي: "وهو في الشريعة عبارة عما هو طريق إلى الشيء، من سلكه وصل إليه فناله في طريقه ذلك لا بالطريق الذي سلك، كمن سلك طريقا إلى مصر بلغه من ذلك الطريق لا به لكن يمشيه"[3].

وقال السرخسي: "وهو طريق الوصول إلى الشيء، وفي الأحكام السبب عبارة عما يكون طريقا للوصول إلى الحكم المطلوب من غير أن يكون الوصول به، ولكنه طريق الوصول إليه بمنزلة طريق الوصول إلى مكة فإن الوصول إليها

---

(١) زين العابدين بن إبراهيم بن محمد الشهير بابن نجيم فقيه حنفي من العلماء له تصانيف منها الأشباه والنظائر في قواعد الفقه والبحر الرائق شرح كنز الدقائق، كانت وفاته سنة (٩٧٠هـ) انظر: شذرات الذهب (١٠-٥٢٣) الأعلام، الزركلي (٣-٦٤)، معجم المؤلفين، كحالة (٤-١٩٢).

(٢) الأشباه والنَّظائر على مذهب أبي حنيفة النُّعمان زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ) وضع حواشيه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ (ص: ١٥).

(٣) أصول البزدوي (ص: ٣٠٩).

يكون بمشي الماشي، وفي ذلك الطريق لا بالطريق، ولكن يتوصل إليها من ذلك الطريق عند قصد الوصول إليها، وكذلك الحبل فإنه طريق للوصول إلى قعر البئر أو إلى الماء الذي في البئر ولكن لا بالحبل بل بنزول النازل أو استقاء النازح بالحبل"[١].

ولذلك قال المحققون بعد أن عرضوا تعريفه: وتابعه السرخسي والنسفي.[٢]

ولما فسر البزدوي الأسماء بالمسميات؛ والانتظام اللفظي والمعنوي بما ذكرنا في التعريف السابق احترازًا عما اختاره القاضي أبو زيد الدبوسي، قالوا: ووافق شيخ الأئمة السرخسي الإمام البزدوي.[٣]

من هنا نستطيع أن نقول: إن أصول البزدوي كتاب جمع الرأي في مذهبه، ولا يستطيع سبر غوره ولا الإحاطة بمجموع مقاصده ومراميه، أو ربط المسائل الأصولية للمذهب الحنفي جملة دون الاقتصار على عدد من علمائه وما ينبني من هذه الأصول على غيره وما يتفرع عن غيره؛ إلا العالم المتبحر.

وهذا ما نص عليه علاء الدين البخاري الحنفي بقوله: "ولا طريق إلى الإحاطة بطرفه وعجائبه، إلا لمن أقبل بكليته على تحقيقه وتحصيله، وشد حيازيمه للإحاطة لجملته وتفصيله، بعد أن رزق في اقتباس العلم ذهنا جليا، وذرعًا من هو أجس أضاليل المنى خليًّا، وقد تبحر مع ذلك في الأحكام والفروع، وأحاط بما جاء فيها من المنقول والمسموع"[٤].

---

(١) أصول السرخسي (٣٠١/٢).

(٢) انظر: رفْعُ النِّقَابِ عَن تنقِيح الشّهابِ، أبو عبد الله الحسين بن علي بن طلحة الرجراجي ثم الشوشاوي السِّمْلالي (المتوفى: ٨٩٩ هـ) تحقيق د. أَحْمَد بن محمَّد السراح، د. عبد الرحمن ابن عبد الله الجبرين، أصل هذا الكتاب: رسالة ماجستير، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية ط: الأولى، ١٤٢٥هـ (٩٠/٢).

(٣) المطلق والمقيد، حمد بن حمدي الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ (ص: ٤٤).

(٤) كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، علاء الدين البخاري (٣/١).

فليس للطلبة التصدي لدراسته، إنما هو للفحول من العلماء، فقد تأبى على الطلبة زمامه وقد انغلقت ألفاظه وخفيت رموزه وألحاظه فقام جمع من الفحول بأعباء توضيحه وكشف خبياته وتلميحه"[1].

وعليه فلا يصح لطالب علم لم ترسخ قدمه في هذا الباب خاصة، أن يقصد مثل هذا الكتاب، فهو صعب المراس، فضلًا عن المبتدئ.

وكما قال ابن بدران: الأولى في تعليم المبتدئ أن يجنّبه أستاذه عن إقراء الكتب الشديدة الاختصار، العسرة على الفهم ثمّ ضرب له أمثلة ببعض الكتب.

وذلك لكونها فيها "إخلال بالتحصيل لما فيهما وفي أمثالهما من التخليط على المبتدئ بإلقاء الغايات من العلم عليه وهو لم يستعد لقبولها بعد وهو من سوء التعليم، ثم فيه مع ذلك شغل كبير على المتعلم بتتبع ألفاظ الاختصار العويصة للفهم بتزاحم المعاني عليها وصعوبة استخراج المسائل من بينها"[2].

أما أصول السرخسي، فالشأن فيه أهون، والأمر فيه أيسر، فيمكن تحصيل مسائله لمن أوتي حظًّا من العلم، ولو لم يكن متبحّرًا في علوم الفقه وأصوله.

وبالجملة فإن عمل السرخسي أكثر أخذا من العلماء وطلاب العلم نظرا لهذه السهولة التي وجدها المتابعون وطلاب العلم، وأكثره التمثيل فهو تيسير في التعرف على المسائل اللائقة بالعلم والمذاكرة، وهذا من أجل العلم وأيسره، والله تعالى أعلم.

---

(١) أصول البزدوي (ص: ٣٨٦).

(٢) المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران (المتوفى: ١٣٤٦هـ) تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الثانية، ١٤٠١هـ (ص: ٤٩٠).

قائمة المصادر والمراجع

- الأشباه والنَّظائر على مذهب أبي حنيفة النُّعمان زين الدين بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن نجيم المصري (المتوفى: ٩٧٠هـ) وضع حواشيه وخرج أحاديثه: الشيخ زكريا عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤١٩ هـ.
- أصول السرخسي، أحمد بن أبي سهل السرخسي، تحقيق: أبو الوفا الأفغاني، لجنة إحياء المعارف العثمانية – حيدر آباد ١٤١٤هـ . ١٩٩٣م.
- أصول البزدوي، علي بن محمد البزدوي الحنفي، مطبعة جاويد بريس، كراتشي.
- الأعلام، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ) دار العلم للملايين، ط: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م.
- تاج التراجم، أبو الفداء زين الدين أبو العدل قاسم بن قُطلُوبغا السودوني (نسبة إلى معتق أبيه سودون الشيخوني) الجمالي الحنفي (المتوفى: ٨٧٩هـ) تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم – دمشق، ط: الأولى، ١٤١٣هـ.
- تاريخ الإسلام وَوَفيات المشاهير وَالأعلام، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) تحقيق: الدكتور بشار عوّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط: الأولى، ٢٠٠٣ م .
- التحصيل من المحصول، سراج الدين محمود بن أبي بكر الأرْمَوي (المتوفى: ٦٨٢ هـ) تحقيق: الدكتور عبد الحميد علي أبو زنيد، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت – لبنان، ط: الأولى، ١٤٠٨هـ.
- تحقيق جزء من كتاب الشامل لأمير كاتب بن أمير عمر الفارابي الإتقاني ت ٧٥٨ هـ، من أول باب حكم الأمر والنهي إلى آخر باب بيان أسباب الشرائع مع التطبيق على: سورة الحجرات، خيرت يوسف نور الدين، والكتاب رسالة

تخصص ماجستير في أصول الفقه، المعيد في كلية الدراسات والعربية بدمياط، قسم الشريعة الإسلامية جامعة الأزهر، كلية الدراسات الإسلامية والعربية- بنين بالقاهرة.

- التخريج عند الفقهاء والأصوليين (دراسة نظرية تطبيقية تأصيلية) يعقوب بن عبد الوهاب بن يوسف الباحسين التميمي، مكتبة الرشد، ١٤١٤هـ.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، المحقق: الناشر: مطبعة فضالة – المحمدية، المغرب، الطبعة: الأولى.
- تطور الفكر الأصولي الحنفي (دراسة تاريخية تحليلية تطبيقية) هيثم عبد الحميد دار الكتب العلمية، بيروت.
- التكملة والذيل والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية، الحسن بن محمد بن الحسن الصغاني (المتوفى: ٦٥٠ هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين منهم: عبد العليم الطحاوي، عبد الحميد حسن وغيرهم – مطبعة دار الكتب، القاهرة.
- تهذيب شرح متن الورقات، الأستاذ الدكتور عياض السلمى، عضو هيئة التدريس بقسم أصول الفقه بكلية الشريعة بالرياض.
- الجامع لمسائل أصول الفقه وتطبيقاتها على المذهب الراجح، عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، مكتبة الرشد – الرياض – المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ .
- الجواهر المضية في طبقات الحنفية، عبد القادر بن محمد بن نصر الله القرشي، أبو محمد، محيي الدين الحنفي (المتوفى: ٧٧٥هـ) مير محمد كتب خانه – كراتشي.
- ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق: حمدو طماس – دار المعرفة، بيروت – لبنان.

- رفْعُ النِّقَابِ عَن تنقِيح الشّهابِ، أبو عبد الله الحسين بن علي بن طلحة الرجراجي ثم الشوشاوي السِّمْلالي (المتوفى: ٨٩٩ هـ) تحقيق د. أَحْمَد بن محمَّد السراح، د. عبد الرحمن بن عبد الله الجبرين، أصل هذا الكتاب: رسالتي ماجستير، مكتبة الرشد للنشر والتوزيع، الرياض – المملكة العربية السعودية ط: الأولى، ١٤٢٥هـ.
- سير أعلام النبلاء، الذهبي، تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط: الثالثة، ١٤٠٥هـ. وطبعة دار الحديث– القاهرة، الطبعة: ١٤٢٧هـ–٢٠٠٦م.
- شرح الورقات في أصول الفقه، خالد بن إبراهيم الصقعبي.
- الفوائد البهية في تراجم الحنفية، أبو الحسنات محمد عبد الحي اللكنوي الهندي، عنى بتصحيحه وتعليق بعض الزوائد عليه: محمد بدر الدين أبو فراس النعساني، طبع بمطبعة دار السعادة بجوار محافظة مصر – لصاحبها محمد إسماعيل، الطبعة: الأولى، ١٣٢٤هـ.
- القرائِن والنَّص (دراسة في المنهج الأصولي في فقه النص، د. أيمن علي عبد الرؤوف صالح.
- الكافي شرح البزودي، الحسين بن علي بن حجاج بن علي، حسام الدين السِّغْنَاقي (المتوفى: ٧١١ هـ) تحقيق: فخر الدين سيد محمد قانت (رسالة دكتوراه) مكتبة الرشد للنشر والتوزيع – الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١م.
- كشف الأسرار شرح أصول البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: ٧٣٠هـ) دار الكتاب الإسلامي.
- كشف الأسرار عن أصول فخر الإسلام البزدوي، عبد العزيز بن أحمد بن محمد، علاء الدين البخاري الحنفي (المتوفى: ٧٣٠ هـ) تحقيق: عبد الله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية – بيروت ط: الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة أو الحاج خليفة (المتوفى: ١٠٦٧هـ) مكتبة المثنى – بغداد ١٩٤١م.
- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل، عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن عبد الرحيم بن محمد بدران (المتوفى: ١٣٤٦هـ) تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة – بيروت، ط: الثانية، ١٤٠١هـ.
- المطلق والمقيد، حمد بن حمدي الصاعدي، عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، المملكة العربية السعودية، ط: الأولى، ١٤٢٣هـ.
- معجم الأدباء = إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، المحقق: إحسان عباس، الناشر: دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ – ١٩٩٣م.
- معجم البلدان، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) دار صادر، بيروت – ط: الثانية، ١٩٩٥م.
- معجم المؤلفين، كحالة.
- المكتبة الإسلامية، عماد علي جمعة – سلسلة التراث العربي الإسلامي – الطبعة: الثانية ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.
- المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي لجمال الدين بن تغري – الهيئة العامة للكتاب.
- الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي، دار إحياء التراث، بيروت.
- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس ابن خلكان – تحقيق: إحسان عباس، دار صادر – بيروت.

* * *